إحياء الإسلام

خطاب

لحضرة مرزا طاهر أحمد - رحمه الله تعالى -
الخليفة الرابع للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتيب: إحياء الإسلام

"IHYAA-UL-ISLAM"

(Revival of Islam) in Arabic

By: Hadhrat Mirza Tahir Ahmad, Khalifatul Masih IV

(May Allāh envelop him in His mercy)

First Published in U.K. in 1986

Reprinted in 1991
Reprinted in 1994
Present Edition (UK) 2010

Published by:
Al-Shirkatul Islamiyyah
"Islamabad"
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed by:
Raqeem Press
Islamabad U.K.

ISBN: 1 85372 409 2

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

تأسست الجماعة الإسلامية الأحمدية عام ١٨٨٩م على يد سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، الذي بعثه الله إماما مهديا وحَكَمًا عَدْلاً، وجعله مثيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فكان هو المسيح الموعود لهذه الأمة، وهو الإمام المهدي الذي وَعَدَ رسولُ الله ﷺ بمجيئه حين يتفرق المسلمون وتضيع شوكتهم وتذهب ريحهم، فتنقضّ عليهم أمم الأرض وتتداعى كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

وقد كان من رحمة الله بالمسلمين أن بعث إليهم الإمام المهدي ليوحد شملهم، ويجمع كلمتهم، ويهديهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن أجل تحقيق هذه الوحدة بين المسلمين، وحتى يظهر الإسلام على الدين كله، أسَّس الإمام المهدي عليه السلام هذه الجماعة الإسلامية، وهي حركة عالمية نظامها الخلافة الراشدة، وغايتها نشر الإسلام الصحيح الذي جاء به الرسول الأعظم، خاتم النبيين، محمد المصطفى ﷺ وهي بذلك تعمل على رفع المستوى الديني والأخلاقي، وتنمية العلاقات الودية والأخوية بين الشعوب، والعلاقة الروحية الصادقة بين الإنسان وخالقه،

وبذلك يسود السلام الحقيقي في العالم، وتمتلئ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا.

وهذا الخطاب الذي نقدمه إلى القراء على الصفحات التالية، هو خطاب ألقاه إمام الجماعة الراحل، حضرة ميرزا طاهر أحمد - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - الخليفة الرابع للمسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام. وقد أُلقيَ الخطاب باللغة الإنجليزية أثناء زيارته - رحمه الله - للشرق الأقصى عام ١٩٨٣، ويتناول الخطاب فهمَ الجماعة الأحمدية لفلسفة إحياء الإسلام.

ونحن إذ نقدم تعريب هذا الخطاب للقارئ العربي، ندعو الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وينفع به المخلصين والصادقين، والله من وراء القصد.

الناشر

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــــه، وأشـــهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الـــرجيم ﴿بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْـــدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)

إن موضوع كلمتي اليوم هو فلسفة إحياء الإسلام، وأودّ أن أحدثكم اليوم عن فلسفة الإسلام التي تعالج هذا الموضوع، لأنها هي الفلسفة الوحيدة الحقة والخالدة. وليس من سبيل إلى إحياء الديانات إلا بتدخل إلهي، فالله العلي القدير يبعث المجدد لينقـــذ الناس من تهافتهم على المادة ويعيدهم إلى خالقهم، وشأن هـــذا المجدد دائما حضّ الناس على بذل تضحيات عظمى في ســـبيل الله. فهو يدعو الناس إلى الجهد والعرق، إلى الصبر والتحمـــل، ويلقنهم أن من أراد الحياة فليكن على استعداد لطلـــب المـــوت لينال الحياة. وهكذا يُعِدُّ مبعوثُ الله أتباعه لنضال طويل مضنٍ، شاقًّا طريقَه وسطَ معارضةٍ عمياء واضطهاد قاس علـــى أيـــدي أولئك الذين يسعى المبعوث ومن معه لهدايتهم بكل محبة. وكما قلت، هذه هي الفلسفة الوحيدة الخالدة لإحياء الإسلام، وكـــل فلسفة مخالفة لها ليست سوى ضرب من الوهم. وينبغي أن أذكر

هنا أن معظم طوائف المسلمين ليست على وفاق في هذا الموضوع؛ فهناك عدد كبير من بين المسلمين يعتقد أنه قد طرأ تغيير أساسي في العالم على أسلوب إحياء الإسلام، ولكن الجماعة الإسلامية الأحمدية في الجانب الآخر ترى أن سنة إحياء هذا الدين قد استمرت عبر التاريخ و لم يطرأ عليها أي تغيير.

وحتى لا تتسبب الخلافات القائمة بين المسلمين في خلق انطباع خاطئ، أرى من الضروري سرد العقائد الأساسية المتفق عليها بين المسلمين والتي تجتمع عليها كلمتهم جميعا رغم اختلاف مذاهبهم.

إن كل مسلم – أيا كان مذهبه – يؤمن بوحدانية الله تعالى ورسالة النبي الأعظم محمد المصطفى ﷺ. وكل مسلم يؤمن بأن الإسلام هو آخر الأديان التي أنزلها الله تعالى لهداية وخلاص جميع البشر، وكل المسلمين يؤمنون بأن الإسلام هو الدين الذي لم يزل ملبّيا حاجات الإنسان الروحية وموفيًا لها إلى يوم الدين. وجميع المسلمين يؤمنون بأن الشريعة التي أنزلت على محمد المصطفى ﷺ كاملة لا تتغير ولا تنسخ أبدا، وإن القرآن المجيد لم يقع أيّ تحريف ولا تبديل في كلمة من كلماته بل ولا في حركة منه. وكل المسلمين من جميع الاتجاهات الفكرية يعتقدون أن لتعاليم الرسول المصطفى ﷺ صلاحيتها وسلطانها إلى آخر

الزمان، فالمسلمون من كل فرقة يؤمنون بأنه لا سبيل إلى إدراك الحقائق الروحانية الأزلية إلا عن طريق اتباع سنة النبي المصطفى ﷺ.

هذه العقائد الأساسية كلها مشتركة بين المسلمين دونما استثناء، ورغم هذه الأمور المشتركة بيننا، يظل هنالك اختلاف جوهري يميز الجماعة الإسلامية الأحمدية عن طوائف المسلمين الأخرى.. ألا وهو الاختلاف في قضية إحياء الإسلام، وفي واقع الأمر إن جميع الاختلافات الأخرى تنبع من هذه القضية الهامة.. فكيف يتحقق بعث الإسلام؟ وكيف يمكن أن ينال حياة جديدة ويدب حماس جديد في هذا الدين الذي راح أهله في سبات عميق؟

وعند الإجابة على هذه الأسئلة تتفق كلمة المسلمين عامة بما فيهم الجماعة الإسلامية الأحمدية على أن هذا الأمر يتحقق بمجيء المسيح عيسى ابن مريم، وبظهور الإمام المهدي المنتظر، أي بواسطة المصلح الذي يصطفيه الله تعالى لهذه المهمة وتوجهه الهداية السماوية. وعند تفسير هذا الاتفاق الظاهري ينشأ عنه في الواقع رأيان متعارضان تمامًا. فالجماعة الإسلامية الأحمدية تنظر إلى النبوءات المتعلقة بمجيء المسيح على أنها جاءت بأسلوب المجاز، وأنه لا سبيل لإدراك معناها الحقيقي إذا أُخذت بمعناها

الحرفي. وعلى النقيض تمامًا من هذا، تصرّ الفــرق الإســـلامية الأخرى على تحقق تلك النبوءات بظاهرها الحرفي. وهـــذا هـــو الفرق الأساسي الذي يميز الجماعة الإسلامية الأحمديـــة عمـــن سواها من الفرق المسلمة.

نبذة عن النبوءة

إن حالة انحطاط المسلمين الحاضرة وما يقع بينهم من اختلافات كانت من الأمور التي كشفها الله ﷻ لنبيه المصطفى ﷺ. ولقد تنبأ ﷺ منذ أربعة عشر قرنا بوحي من الله تعالى بأن المسلمين سيتفرقون إلى ثلاث وسبعين فرقة. كما وصف حالة المسلمين المؤسفة بتفصيل وكأنه يشاهدهم أمام عينيه. فالأحاديث النبوية تضمنت وصفًا بيّنا لزمننا المعاصر حيث جاء فيها: "لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى".. ولكن لم يقتصر الوصف على هذه العلامات المروعة، بل بشرنا ﷺ ببشارات عظيمة الشأن أيضا، فأخبرنا بأن الأمة الإسلامية لن تهلك رغم تعرضها لتلك المحنة الرهيبة وقال: "كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها".[1] وقال ﷺ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم".[2] وكرر البشرى في قوله: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً".[3]

---

[1] كنز العمال، المجلد الرابع عشر، الإكمال من نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، رقم الحديث ٣٨٨٥٨، مؤسسة الرسالة طبعة ١٩٨٩م

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان

[3] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء

كذلك بشر المصطفى ﷺ بإمام عظيم.. هو الإمام المهـــدي الذي يظهر في وقت عيسى ابن مـــريم. والجماعـــة الإســـلامية الأحمدية تتفق مع كل الفرق الإسلامية في اعتقادها بأن بعـــث الإسلام وغلبته العالمية ترتبط بمجيء المـــسيح وظهـــور الإمـــام المهدي، ولكنها تختلف عنهم في تفسير هذه النبوءات. إنها ترى ضرورة فهم هذه النبوءات في ضوء القانون الرباني كما جـــرت به سنة الله تعالى، وبما يتفق وتاريخ الأنبياء الـــسابقين. ولكـــن الفرق الإسلامية الأخرى على عكس ذلك تتمسك بالمعنى الحرفي لهذه النبوءات دون أن تتعمق في معانيها ومراميهـــا. ولـــسوف أسعى أولا إلى شرح وجهة نظر معارضينا إنصافًا لهم.

إنهم يقولون: إن نهضة الإسلام مرتبطة بسيادته الاقتـــصادية والسياسية. ولعل ما يبرر ذلك هو ما للذهب من بريق وما للقوة من سلطان وسيطرة تقليدية على صراعات البـــشر.. فـــذروة النهضة الوطنية قد تكون عن طريـــق الـــسطوة الـــسياسية أو الاقتصادية أو في كليهما، ويتجلى الفضل الإلهـــي في رأيهـــم بتحقيق تلك النتيجة. هذا هو مفهوم نهضة الإسلام كما يـــراه الكثيرون. وحسب اعتقادهم سيكون مجيء المسيح بشيرَ عهـــدٍ جديد يخضع فيه العالم كله للإسلام سياسيا، ويكـــون ظهـــور الإمام المهدي سبيلا إلى هيمنة المسلمين على العالم كله اقتصاديا.

وهنا أوجز لكم تصورهم عن مجيء المسيح. إنهم يعتقدون بأن عيسى ابن مريم الناصري الذي ذكر القرآن أنه كان رسولا إلى بني إسرائيل سينزل من السماء بشخصه وجسده العنصري، ويشرع فور نزوله بإعمال سيفه في رقاب أعداء الإسلام، وأنه سيكتسح العالم محققا أغراضا ثلاثة: يكسر الصليب - لا بمعناه المجازي بل بمعناه الحرفي - وسيمضي محطما في طريقه رمز العقيدة المسيحية بهمة ونشاط بما لا يدع له من أثر، فلا يبقى صليب واحد مرفوعا على كنيسة أو متدليا في عنق. هذه هي مهمته الأولى، أما مهمته الثانية عند معارضينا فهي قتل الخنزير، إذ إنه سيطارد هذا الحيوان ليستأصل شأفته من الحظائر ومن الغابات بحيث لا يجد المسيحيون صليبًا لعبادتهم ولا خنزيرا لطعامهم. وهكذا سوف يحرم المسيحيون من غذائهم الروحي فضلا عن غذائهم المادي.

والغرض الثالث من نزول المسيح - في رأيهم - أنه سيقتل الدجال، أي المسيح الدجال. ولمن يتساءل عمن هو الدجال نقول إن الأحاديث النبوية - إذا أُخذت بمعناها الظاهري كما يفعل البعض- تحكي عن كائن جبار، أعور العين، يأتي راكبا على حمار ذي أبعاد غير عادية، فهو طويل حتى أن رأسه يعلو فوق السحاب، وقد حذر كل الأنبياء أممهم من شرور ذلك

الدجال. وحينما يعيث الدجال في الأرض فسادًا ينـزل المسيح ابن مريم من السماء ويقاتل الدجال بالقرب من دمشق فيقتله ثم يغزو الدنيا كلها ويستولي عليها، وفي النهاية يسلم زمامها للمسلمين. هذه – بوجه عام – هي فلسفة عامة المسلمين بشأن نهضتهم وهيمنتهم العالمية. إنها فلسفة تعفيهم كلية من عبء أي كفاح سياسي، وهكذا فإن الحالمين بوراثة الأرض من دون أن تتحرك فيهم عضلة أو تهتز لهم شعرة، بوسعهم ألا يشغلوا أنفسهم بتفكير أو عمل سياسي من أي نوع كان، وأن يعيشوا في سعادة الغفلة عما هم فيه من فساد وانحطاط. دع عنك كل شيء آخر، فهم يعلمون بكل تأكيد أن يوم السعادة ليس بعيدًا عنهم عندما ينـزل الكائن الإلهي من السماء وينطلق غازيا من أجلهم.. فيقتل الخنـزير ويحطم الصلبان ويقضي على قوى الشرق والغرب ثم يعود إلى جماهير المسلمين ويقول لهم: هلم يا جند الله، يا معشر الأتقياء.. تعالوا وتقلدوا الأمور في مملكة الأرض!!! فعند عامة المسلمين هذا هو الرأي العظيم الذي يشرح كيفية نهضة الدين وبعثه.. والذي لا يسع المسلمين الأحمديين أن يشاركوهم فيه بهذه الحرفية الفجة.

وتتبقى بعد هذا نهضةُ الإسلام الاقتصادية حيث يرى أهل العلم في الفرق الأخرى أن خروجهم من مأزقهم الاقتصادي

المؤسف والمتغلغل في المجتمعات الإسلامية كلها لن يتحقق بالكفاح والتضحيات، وإنما يأتيهم العلاج التام عند ظهور الإمام المهدي المنتظر والذي يكون ظهوره معاصرا للمسيح. وتكون أهم واجبات هذا الإمام هي إفاضة المال على المسلمين وتوزيع ثروات لا حد لها، فيعمّ خيره اللانهائي ويجلّ كرمه عن الوصف، حتى تكون الثروات أكثر من أن يستطيع المسلمون إحصاءها.. وعندئذ تغيب شهوة الذهب إلى غير رجعة. هذا عند البعض هو العلاج الناجع الشامل لحلّ كل المشاكل الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية. إذ يعتقدون أن ظهور الإمام المهدي يعتبر في حدّ ذاته الجواب الشافي على كل المساوئ الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، فلا حاجة لهم إلى العرق والدموع والكدح. لا ضرورة لهم للضرب في الأرض واكتناه أسرار الفضاء، لا لزوم لصناعة أو اختراع أو عمل، فكل ما يلزم هو أن يأتي الإمام المهدي. وهنا أيضا - نحن المسلمين الأحمديين - نختلف معهم في هذا إذ نرى هذا المفهوم صبيانيًا وغير مقبول ولا مستساغ.

والجماعة الإسلامية الأحمدية لا ترفض النبوءات المتعلقة بنزول المسيح وظهور الإمام المهدي بأي وجه من الوجوه، بل ترى أن منهج التفسير الصحيح لهذه النبوءات يجب ألا يكون بحملها على ظاهر ألفاظها، الأمر الذي يعتبر في نظرنا منتهى

السذاجة والجهل. ونرى أن حمل الألفاظ على معناها الظاهري يأتي نتيجة لعدم الإدراك الكامل للمكانة العالية التي يتبوءها النبي الأعظم ﷺ وهذا ما أوقع هؤلاء في خطأ فاحش عند محاولتهم فَهْمَ تلك الرسالة الفلسفية العميقة.

إن أهل البصيرة والحكمة كثيرا ما يستعملون الأمثال والمجاز عند بيان أمر من الأمور ذات الشأن الخطير مما يجعل النظرة السطحية عاجزة عن إدراكها بسهولة. ويعتقد المسلمون الأحمديون أن كل المسائل المتعلقة بالمسيح والدجال وحماره قد وردت بأسلوب المجاز. فالمسيح المذكور في النبوءة ليس هو ذلك النبي الذي أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل.. إن الأحمديين يعتقدون بأن المسيح ابن مريم قد مات ميتة طبيعية بعد أن أنقذه الله من الموت على الصليب، وأن مسيح النبوءة إنما هو في الواقع شخص آخر.. هو فرد ممن يولد في أمة محمد المصطفى ﷺ.. له من الخصائص والخصال ما يشارك فيها عيسى ابن مريم، ولذلك أُطلق عليه اسمُ "عيسى ابن مريم" كما يُسمّى الرجل الكريم حاتمًا والشجاعُ عنترةً. كذلك فإن الإشارة إلى الصليب رمز ومجاز، فالمسيح الموعود لن يطوف الأرض يكسر الصلبان.. بل إنه يهزم العقيدة المسيحية بالأدلة القوية والحجج الدامغة. إذن فكسر الصليب يرمز إلى تحطيم الأساس الفكري في العقيدة

المسيحية وليس المراد به الكسر المادي للصليب. وكذلك الحال بالنسبة للفظ "يقتل الخنزير"، فهو يشير إلى حياة الانحلال الخلقي في المجتمع الغربي التي تحوِّل الآدمي إلى حيوان ديوث. فلفظة "الخنزير" ترمز إلى ما يسمى بالثورة الجنسية التي تجتاح أوربا وأمريكا. إنها تومئ إلى ذلك الفسق المزري الذي لا يتورع عن اتخاذ ضحاياه حتى من بين الأطفال الأبرياء وغيرهم. هذا وإن الأحاديث النبوية لا تعني البتة، أن المسيح سوف يقوم بمطاردة قطعان الخنازير البرية ليقضي عليها أو يعقد العزم على جمع الخنازير من المزارع ليقتلها.. فذلك أمر جدّ غريب ولا يليق بأنبياء الله تعالى.. غير أنه يذكّرنا بالأساطير اليونانية القديمة عن "أجتس" الذي تصدَّى لقطعان من الماشية والأغنام، فأعمل فيها القتل بناء على وهمه المجنون بأنها قادة جيش الأعداء.. لم يظهر على وجه الأرض نبي على هذه الشاكلة ولن يأتي رسول بهذه الصورة أبدًا.

أما لفظ الدجال فهو اسم وصفي شأنه في ذلك شأن الكلمات الأخرى مثل كلمة المسيح والصليب والخنزير التي ذكرت في النبوءة، فالدجال وصف لأمة عظيمة قوية تحكم الأرض والفضاء. والواقع أن كلا من الصليب والخنزير يتعلق بهذه الأمة. تقول الأحاديث النبوية بأن العين اليمنى للدجال

عوراء، أما عينه اليسرى فكبيرة نيرة.. وفي هذا الوصف المجازي تدل عماية العين اليمنى على عماية البصيرة الروحانية عند هـذه الأمة وحرمانها من النور الروحاني، وأما قوة العين اليسرى فتدل على شدة بصيرتها المادية التي تمكنها من التفوق المادي وتحقيق إنجازات مادية عظمى.

وأخيرًا فإن المسلمين الأحمديين يرون في حمار الدجال وصفًا رمزيًا كذلك. فهو يشير إلى وسائل النقل المستحدثة التي قُدّر لها أن توجد في زمننا، ذلك أن جميع ملامح حمار الدجال يمكن التعرف عليها فيما نراه من وسائل النقل الحاضرة ذات المحركات الاحتراقية التي اخترعها الغرب. فلو تأملنا أوصاف هذا الحمار كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة وكما انكشفت للمصطفى ﷺ في أحد كشوفه.. لرأيناه يأكل النار، ويجري على الأرض ويشق البحار ويطير في الهواء، وسرعته "كغيث استدبرته الريح" كناية عن السرعة الفائقة، ويدخل الركاب في جوفه ولا يركبون على ظهره، وإنه يضاء لهم ويعلن عن مسيره ويطلب من الركاب ملازمة مقاعدهم.. فلو تأملنا هذه الأوصاف التي رواها لنا المصطفى ﷺ منذ أربعة عشر قرنا لأدركنا المعنى، ولفهمنا مراده من هذا المخلوق.. ولا شك أن تحقق هذه العلامات بدقة بالغة لشهادة مجيدة على صدق محمد المصطفى ﷺ.

وبالمثل فإن المسلمين الأحمديين يرون الأنباء المتعلقة بمجيء الإمام المهدي من قبيل المجاز أيضا. وإن الثروة التي سوف يوزعها بين المسلمين إنما هي ثروة العرفان الروحاني والحكمة الربانية وليست ثروة المال الدنيوي. ثم إن رفض البعض قبول هذا المال لهو دليل على نوعية هذه الثروة.. إذ إن المال المادي لا يشبع منه الإنسان قط،* وإنما الكنوز الروحانية هي وحدها التي تلقى منه الازدراء. وهكذا فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية ترفض أيضا هذه الفكرة الساذجة لنهضة الإسلام الاقتصادية التي تنتشر بين طوائف المسلمين الأخرى. وإنها ترى أن فلسفتهم هذه تناقض تعاليم القرآن المجيد ولا تتفق وتاريخ الأنبياء، بل وتناقض سنة الرسول ﷺ. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية لتنأى بنفسها عن هذا الأفيون الفكري الذي يأتي إلى الأمة وهي في المعترك ثم يتركها في عالم الهلوسة والخيال.

* جاء في الحديث الشريف: "لو كان لابن آدم وادٍ من ذَهَبٍ أحبَّ أنَّ له واديًا آخر، ولن يملأ فاه إلا التراب." (صحيح مسلم، كتاب الزكاة)

فلسفة الأحمدية فيما يتعلق بالإحياء الديني

لا تختلف هذه الفلسفة عن التراث المـــشترك بـــين جميـــع الديانات، والتاريخ يعضد هذه الفلسفة وحدها.. فمع أن كتب الديانات والأساطير ذكرت أن الكثيرين قد صعدوا إلى السماء.. فلا توجد هناك رواية واحدة تخبر بعودة أحدهم إلى الأرض ثانية منذ عهد آدم وحتى يومنا هذا، وإذا غضضنا الطرف عن صعود هؤلاء إلى السماء كما يزعم البعض، فلا نرى ذكر رجـــوع أي واحد منهم إلى الأرض ثانية بعد اختفاء طويل.. لقد اصطفى الله الأنبياء من بين جموع الناس العـــاديين.. فقوبلـــوا بالتكـــذيب والتحقير من بني قومهم، فلم تُرفع لأحدهم أقـــواسُ الزينـــات ترحيبًا، ولم تُقدَّم لهم أكاليلُ الزهور احتفـــاءً، ولم توقـــد لهـــم المشاعل ابتهاجًا، بل كان العكس هو الـــصحيح، لقـــد بُعثـــوا جميعهم باسم الله تعالى، فعذبتهم أقوامُهم وكأنهم ارتكبوا جريمة مروّعة. وكان طريقهم مفروشا بالأشـــواك، وأثـــير الغبـــار في وجوههم، وألقيت الأحجار على رؤوسهم. لقد عقـــدوا لهـــم تيجان الشوك، وأنزلوا بهم كل أنواع التعذيب الـــتي يتـــصورها البشر.. فكنت ترى أحدهم عائدًا من مدينة "صور" يغطيه الدم من قمة رأسه إلى قدميه.. ثم ترى الآخر في موقعة "أُحد" ملقى

على الأرض كالميت من فرط الإعياء.. تغطيه أجساد القتلى من أصحابه الذين بذلوا حياتهم من أجله. وكنت ترى أتباعهم يعانون كمثلهم. ولقد عُذِّبوا بأشد أنواع العذاب، فسُحبوا من أقدامهم على الطرق الوعرة كما تسحب الكلاب.. وأُرغموا على الرقود فوق الرمال المحرقة تحت الشمس الملتهبة.. وأُلقوا على أسياخ الحديد المحماة ليطفئوا جذوتها في أجسادهم.. ولقد أخرجهم أعداؤهم من مساكنهم وطردوهم إلى المنفى، وهددوهم بالموت جوعًا وقتلوهم بالسيوف غدرًا، وفرقوا بين الزوج وزوجته وأبعدوا الزوجة عن زوجها وحرموا الآباء من أطفالهم، وسلبوهم جميع حقوق الإنسان المعروفة وهضموا كل حق تفرضه لهم الحياة، فحيل بينهم وبين الصلاة في المساجد بل ومُنعوا من بنائها، وحرموا حتى من حق إعلان عقيدتهم بل ومن مجرد ذكر اسم دينهم.

ولكن الإنسان لا ينال حياة روحية جديدة إلا بعد أن يسير في طريق الموت.. هذه هي الظاهرة.. الظاهرة الوحيدة التي نشهدها فعالة ومؤثرة في حياة محمد المصطفى ﷺ وفي حياة الأنبياء من قبله. فقد نَفَخَ الأنبياءُ في أقوامهم حياةً جديدة من خلال الانطلاق في طريق الآلام والعذاب. هذه هي الفلسفة الحقيقية والعملية لإحياء الدين منذ عهد آدم إلى عهد محمد

المصطفى ﷺ. هذا هو منطق التاريخ وواقعه، فكيف نتوقع من الله العلي القدير أن يبدّل هذه السنة الثابتة المستمرة؟ كيف نقبل أن يرث المسلمون الأرض من دون بذل قطرة دم واحدة أو دون القيام بمجهود ما؟ كيف نعتقد بإمكانية فلاحهم من دون أن يسيروا في طريق الآلام والتضحيات كما سار الذين من قبلهم؟[1] إن هذا لم يحدث من قبل، وإنه لن يحدث أبدًا.

يؤكد المسيح الموعود عليه السلام - مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية - هذه الحقيقة الأبدية الخالدة في تحذيره للأمة، حيث يقول ما ترجمته:

"ما من نبي إلا وسخروا منه.. فلا بد وأن يسخروا من المسيح الموعود أيضا. يقول العلي القدير: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العبَادِ مَا يَأتِيهِم مِن رسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ﴾[2]، فهذه إذن علامة من الله تعالى ولا بد لكل نبي من أن يسخر منه الناس. والآن من يجرؤ على السخرية من شخص ينزل من السماء تصحبه الملائكة على مشهد من الناس أجمعين؟ إن للعاقل أن يستنتج من هذه الحجة أن عقيدة نزول المسيح الموعود من السماء نزولا

[1] يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم، مَسَّتْهُم الْبَأسَآءُ والضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله..﴾ (البقرة: ٢١٥)

[2] سورة يس: ٣١

جسديا هي عقيدة باطلة. تذكروا، أن أحدًا لن ينـــــزل مـــن السماء. إن جميع الذين يكذبونني اليوم سيذوقون الموت يومًا ما، ولن يرى أحد منهم قط عيسى ابن مريم نازلا من السماء. ومن بعدهم سيواري أبناءهم وأحفادَهم الثرى ولكن لـــن ينــــزل عيسى ابن مريم من السماء. ثم ستمتلئ أفئدة الناس قلقًا ورهبة، إن أيام سيطرة الصليب قد مضت ولكن لم ينـــزل عيسى ابـــن مريم من السماء. ولسوف يملّ العاقلون من هذه العقيدة، وقبـــل انقضاء ثلاثة قرون من اليوم سوف يتخلى المسلمون والمسيحيون عن هذه العقيدة الباطلة في ازدراء وقنوط. وســـيبقى في الأرض دين واحد وهديٌ واحد.. إنني ما جئت إلا لأغرس البـــذرة.. ولقد غرستها بيدي، ولسوف تنمو وتثمر، ولن تملك سلطة على الأرض أن تمسّها بسوء".

وبوسع كل ذي فكر منصف أن يرى من خلال هذه المقارنة أن وجهة نظر الأحمدية قائمة على حقائق التاريخ الديني ومنطقه، في حين إن فلسفة المعارضين لنا تتسم بأسطوريتها وتعارضها مع سنة الإحياء الديني عبر التاريخ. إننا نعرف من التاريخ أن كـــل مبعوث إلهي قد قوبل بعاصفة من المعارضة. وجميع الأنبياء حملوا إلينا رسالة الحق والحياة الأبدية ولكنهم عورضوا وكذبوا من قبل الذين آثروا الباطل على الحق وفضلوا الموت على حياة الخلـــود.

هذا هو سبيل ولادة كل دين جديد فإذا ما لحقت به المفاسد والبدع والانحرافات يعود إحياؤه مرهونا بنفس السبيل.* وإن المصلحين والمجددين الذين يقيمهم الله تعالى يلاقون أيضا ما لاقاه الأنبياء. وكلما تحركت إرادة العلي القدير لبعث أمة من سباتها الروحاني نجدها تنقسم إلى فريقين: فريق يؤمن بما نزل من الحق وفريق يكون من المكذبين.. ولم يحدث أن تخلى أحد الفريقين عن أسلوبه أو خرج على مسلكه. ويصف القرآن المجيد هذه السنة المتكررة بوصف بليغ يثير المشاعر ويهز أوتار القلوب.. وعلى ذوي الألباب أن يعوا الدرس وينتفعوا به..

أ) يعلمنا القرآن المجيد أن تجديد الدين إنما يتمّ عن طريق من يختارهم الله تعالى من المجددين. ولم يتجدد الدين أبدا على أيدي موظّفي الدوائر الدينية أو عن طريق عقد المؤتمرات أو إصدار الفتاوى.

ب) كان هؤلاء المجددون الذين يصطفيهم الله بفضله تعالى يلقون الرفض من أقوامهم دائما وأبدا، وكانوا يواجَهون بالاستعلاء والاحتقار.

---

* جاء في الحديث الشريف: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبا، فطُوبى للغرباء". (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

ج) كان الناس يقاومون المجددين باللجوء إلى وسائل العنف وأساليب الإرهاب، ويتهموهم بإفساد دين الآباء، ويصموهم بالكفر والخروج عن الملة، ويفتون بكفرهم ويحلّون دماءهم، ويخيروهم بين العودة إلى عقيدة الأغلبية المعارضة أو النفي من البلاد أو مواجهة الإعدام قتلا.

وفي الجانب الآخر نجد أن المجددين لم يستعملوا العنف كوسيلة أبدا، بل كان أنصارهم يتحملون الاضطهاد ويتحلون بالصبر ويؤثرون النفي أو القتل على الارتداد إلى ما خلفوه من العقائد الباطلة.. إنهم ينأون عن الطمع في الدنيا ويترفعون عن إغواء الناس بالمال ويتحلون بروح الإيثار ويقدمون كل تضحية ويبذلون كل غال ورخيص ويعتبر الأغنياء منهم أن كل نعمة هي من الله تعالى فيبذلونها في سبيله ابتغاء لمرضاته.

إن القرآن الكريم والكتب السماوية كلها توضح بأن الأنبياء منذ عهد آدم وحتى زمن النبي المصطفى ﷺ قد مروا جميعا بتلك المراحل. لقد بعثوا في أممهم حياة جديدة سائرين بهم في طريق الآلام والابتلاءات والتضحيات. لقد علموهم الحب.. غرسوا فيهم الرغبة في بذل الجهد المتواصل والسعي الدؤوب والعمل الشاق. إن هذه الثورة الروحية هي التي نفخت الحياة في الأمم. إنها السنة الإلهية المتكررة التي لا تتبدل ولا تتغير.. والتي تنسجم

مع طبيعة البشر ومع فكره وضميره.. والتي تعترف بها الجماعة الإسلامية الأحمدية..

وبعد أن استبان لكم موقفنا.. فإن مفهوم الإحياء الديني عند الجماعة الإسلامية الأحمدية ليس هو بالفلسفة المبتدعة أو وليدة فكر الإنسان، بل إنها نابعة من سنة الله التاريخية المستمرة اللامتغيرة.. والتي حفظها لنا القرآن الكريم بكل دقة وصدق. إنها موجودة في كل تلك المبادئ والحقائق الخالدة التي هي أساس كل دين حق. ومثالا على ذلك.. يعلن القرآن المجيد: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَّكفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤمِن باللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾❶.

ثم يؤكد القرآن المجيد قائلا: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَاد مَا يَأتِيهِم مِن رَسُولٍ إِلا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ ❷.

ثم يمضي في تأكيده فيقول: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ❸.

وعندما هدد شعيبًا قومُه وقالوا له: ﴿لَنُخرِجَنَّكَ يَا شُعَيبُ

---

❶سورة البقرة: ٢٥٧ ❷ سورة يس: ٣١ ❸سورة الرعد: ١٢

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ من قَرْيَتِنَا أَو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ❶ ردّ عليهم شعيب باستنكار وقال: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ﴾ ❷.

إن تساؤل شعيب: هل ستُكرهوننا على اتباع عقائدكم رغما عنا؟ وهل ستدفعونها في قلوبنا بحد السيف، أو هل ستنزعون إيماننا من صدورنا قسرًا وإكراهًا؟ كان تساؤل شعيب عليه السلام هذا وصرخته تلك تمثل دائمًا صرخة الأنبياء الصادقين على مرّ الأيام. وها كم القرآن يحكي عن نوح عليه السلام إذ هدده قومه أن يرجموه إذا استمر في دعوته إياهم: ﴿قالُوا لَئِن لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوح لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرجُومِين﴾ ❸.

إن هذه المعاملة لم يواجهها عدد قليل من الأنبياء، بل إن القرآن الكريم يلخص موقف الأقوام جميعا من رسلهم فيقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم لَنُخرِجَنَّكُم مِن أَرضِنَا أَو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾❹.

ولقد عوقب إبراهيم عليه السلام لخروجه على دين أجداده ولقوله الصدقَ.. فصب رؤساء القوم جام غضبهم عليه كما يحكي لنا القرآن المجيد: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾. ❺

ولقد عُلّق المسيح ابن مريم الناصري على الصليب ودقوا

---

❶ سورة الأعراف: ٨٩ ❷ سورة الأعراف: ٨٩ ❸ سورة الشعراء: ١١٧

❹ سورة إبراهيم: ١٤ ❺ سورة الأنبياء: ٦٩

جسده بالمسامير لأنه لم يوافق علماء اليهود على فهمهم الخاطئ لتعاليم التوراة رغم أنه أعلنها صراحة: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأَنقُضَ بل لأُكمل. فإني الحقَّ أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكُلُّ." ❶

واسمحوا لي أن أذكّركم في النهاية بأن محور الخلاف الذي حدث بين المسيح ابن مريم وبين شيوخ بني إسرائيل انحصر حول تفسير الفقرة القائلة: "فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء." ❷

فقد تمسك علماء اليهود بمعناها الحرفي الظاهري، واعتقدوا بأن إيليا سينزل بجسده من السماء قبل مجيء المسيح، ولكن المسيح عليه السلام أكّد بأن هذه الألفاظ قد استُعملت على سبيل المجاز ليس إلا.. وأن العبارة رمزية وليست حرفية، وأوضح بأن يحيى بن زكريا هو إيليا المزمع نزوله من السماء. مع أنه كان يعلم تماما بأن يحيى قد ولد على الأرض وإنه يقينا لم ينزل من السماء. لقد قال هذا ردًّا على الذين سألوه: "لماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولا؟" فأجابهم قائلا: "أقول لكم إن إيليا قد جاء و لم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا.." ففهِم التلاميذ

❶ إنجيل متى الإصحاح الخامس عدد ١٧-١٨

❷ سفر أخبار الملوك الثاني، الإصحاح الثاني عدد ١١

أنه كان يتحدث عن يحيى المعمدان.

وأخيرًا، وبالإضافة إلى كل ما ذُكر، فإن ما عاناه نبي الإسلام محمد المصطفى ﷺ وكما رواه لنا بنفسه، لم يلق نبي مثل ما لقي هو بيد أعدائه، وهكذا فإن تاريخ الأديان يذكّرنا بأن أنبيـــاء الله قاطبة كانوا من بني نوع الإنسان، لم ينـــزل منهم أحـــد مـــن السماء كما يحدث لأبطال الأساطير الخرافية، بل عانوا جميعـــا ألوانا من الابتلاءات والشدائد، وفي النهاية نال أتباعهم المجد.. لا بجهد غيرهم، ولكن بجهدهم أنفسهم ومن خلال حبات العـــرق التي بذلوها ودمائهم التي أراقوها في سبيل الله.

۞۞۞۞۞۞